

الأعداد 04-11-2007

## 65- حالات وأحوال (عن الفصام..)

...الفطرة، والقشرة والانشقاق

بعض أحوال: حالة عصام، (الجزء الثاني)  
(وليس بالضرورة: حالة فصام:؟؟؟)

انتهى الجزء الأول، ولم يكتمل تقديم أحوال عصام بعد، لكن الحلقة الأولى انتهت بفرض مبدئي متعدد الخطوات

وقبل أن أوصل تقديم ما يثبت أو ينفي أو يعدل هذا الفرض، وجدتني قد استعملت فيه كلمتين غير مألوفتين في الطب النفسي أو علم النفس، وهما كلمتي "الفطرة" و "القشرة"، فكان لزاما على أن أبحث، ثم أحاول أن أوضح ما أعنيه بهما، بالإضافة إلى كلمة ثالثة تمثل إشكالا علميا وطبيا ومعرفيا أيضا هي كلمة "الانشقاق"، فكان هذا الاستطراد - أغلب يومية اليوم - لنعود غدا إلى تطبيقه في حالة أحوال عصام.

قبل أن نقدم هذا الاستطراد، ومع أننا لن نتعرض كثيرا إلى ما عرضناه في الحلقة السابقة، ننصح الزائر (القارئ) أن يرجع للجزء الأول (يومية 30-10 حالات وأحوال طب نفسي "الفصام") حتى يستطيع المتابعة، وبالذات بالنسبة لحلقة الغد، أكثر من اليوم.

سوف نعرض الفرض كما ذكرناه في الحلقة الأولى بألفاظه ثم نناقش ما جاء فيه فقرة فقرة

حتى إذا ما أتى موقع الاستطراد، فسوف نتطرق إليه، ثم نعود للحالة غدا

الفرض (كما جاء في نهاية الحلقة الأولى)

أولاً: عصام شاب نشأ في أسرة مزدحمة شكلا، مُفَرَّغَة موضوعاً، تفتقد إلى أي دفء حقيقي يضم أفرادها إلى بعضهم البعض، لا يوجد بها تاريخ عائلي إيجابي لمرض نفسي أو عقلي خطير، الوالد حاضر حضوراً جافاً ملتويًا، يعلم (عصام) وهو الأقرب إليه من الأولاد التجسس على إخوته، ثم لاحقاً -بعد مرض عصام- تقوم "أخته الأصغر" بهذا الدور

الأم ضعيفة سلبية متنحية مقهورة، جافة

**ونضيف الآن عن الأم:** لكنها تعرف طريقها في حدود دورها الظاهر والخفى

وقد تم وصف الام كما أوردناه هنا من المعلومات والانطباعات والأحداث التالية:

(1) هي امرأة مصرية تقرأ وتكتب بالكاد، والدها فلاح وأسرته فقيرة كبيرة العدد،

(2) رفض الأب السماح لنا بالتحدث مع الأم - بشأن المريض - ولو هاتفيا

(3) رفض الأب ذكر اسمها أصلا

(4) **وصفها الأب بأنها: "هادية، وحنينة، ومؤدبة، وأمينة** ، **ومخلصة،** ثم أضاف: لكنها

عنيده، في بعض الأمور: يعنى تعمل حاجة من غير ما أقولها، أو أقول لها على حاجة وماتعملهاش!!! (لاحظ رفض الأب لأى احتمال لتلقائية الأم في الجملة الأولى على الأقل!) وهو يضيف في موقع آخر: ما كنتش عايز أجازو خالص، لكن قلت أجازو عشان حد يخدمنى. ثم ..كانت بتزعلنى، أحيانا وأقولها إنت جاهلة ما بتفهميش"،

(أضاف عصام لاحقا في مقابلة منفصلة أن الأم كانت تقول لوالده أحيانا ردا على ذلك: "وانت عملت إيه بالبكالوريوس بتاعك".)

(5) **وصف عصام أمه** وصفا أكثر تعرية وشجبا كالتالى " **ست جاهلة طبعا، مش نضيفه، قذرة ، تحب تتباهى قدام الجيران بالأكل والشرب وهى معروف أساسها، شحاتة بنت شحاتين، تبوقع الناس في بعضها، بتحسد الناس، والناس بتحسدها لأنها في نعمة مش بتاعتها"**

هذا الوصف لم يكن يجرؤ عليه عصام قبل المرض

(راجع وصفه للوالد في الحلقة الأولى)

هذه هي الأم، وذاك هو الأب وقد أجبنا عصام، ثم ماذا ؟

### نرجع إلى الفرض

(محوّر للتوضيح) عصام ، مثل أى واحد منا، - ولد كما خلقه الله، فهى **الفطرة**- لكن أحدا لم يتعهدها لا بما هى، ولا بما يمكن أن تكون، ، هذه **الفطرة** تغطت **بقشرة** (سلوكية) تربية لامة، لكنها - **الفطرة** - ظلت تتعامل من وراء **القشرة** مع ما يصلها من بزجة بطريقتها البسيطة الصحيحة .

(هذا ما جاء في فرض الحلقة الأولى)

بالذمة هل هذا كلام؟ ما معنى: " **لكن أحدا لم يتعهدها - لا بما هى ولا بما يمكن أن تكون؟**

كلام كبير بلا معنى تقريبا، فنحن لم نحدد ما هى **الفطرة** أصلا، وبالتالي، وأيضا: نحن لا نعرف ما يمكن أن تكون، وذلك برغم كل ما يقال في التربية وعلم النفس، والطبيعة

البشرية، والتركيب التحليلي، وما إلى ذلك (علما بأن الأساطير وبعض الفلسفة، والتصوف الحقيقي، وكثير من الإبداع تعرف الإجابة أحسن!!)

هكذا شعرْتُ بلزوم الاستطراد للتوضيح الواجب لكنني بعد أن كتبتُه وجدت أنه صعب المسألة أكثر وفيها ماذا؟  
هذه هي طبيعة هذه اليومية:

وقد نستغرق عاما أو أكثر - يوميا- لتوضيح ما يمكن، وقد نستغرق العمر كله.

نعم، لكن لا بد من بداية، مادنا قد تورطنا في وضع فرض لتفسير حالة/أحوال عصام، استعملنا فيه كلا من الفطرة والقشرة، الأمر الذي لا بد أن يعرج بنا إلى مسألة الانشقاق الاستطراد والتنظير

سوف نبدأ بـ الفطرة، لننتهي بأحد أشكال التعامل معها بالانشقاق المغرب الثابت وهو ما أسميناه "القشرة":

### الفطرة ليست هي أيا مما يلي

- (1) ليست هي اللاشعور الفرويدي
  - (2) ليست هي البدائية
  - (3) ليست هي براءة الطفل (خارجنا أو داخلنا)
  - (4) ليست هي الحدس العشوائي
  - (5) ليست هي فجاجة التكوين البشرى في ذاته (الغرائز منفصلة)
  - (6) ليست هي "شيئا محمدا" أو "مفهوما ساكنا"
- فماذا يمكن أن نعني حين نستعمل كلمة "الفطرة" إذن؟  
(دون ادعاء أننا أحطنا بما تعنيه بالقدر الكافي)

### دعونا نزعمر مرحليا ما يلي

- (1) الفطرة هي "حركة في اتجاهها" يا خير!!! ما معنى ذلك؟ في اتجاه ماذا؟ في اتجاه الفطرة ذاتها: التي هي حركة أصلا.
- (2) مجرد أن تفكر في الفطرة وأنت في الوضع ساكنا، فسوف تجد نفسك بعيدا عنها!
- (3) الفطرة هي التنظيم الأساسي لكلية الوجود بطبقاته المُرْتَبَّة هيراركيًا، النشطة، المتبادلة، النامية، في دورات.
- (4) الفطرة لا تنفصل عن الوجدان والجسد من ناحية،
- (5) هي تتجلى في العقل (والمنطق) والسلوك والأخلاق والإيمان والدين والإبداع من ناحية أخرى
- (6) الفطرة هي "كلُّ" مشتمل، بحيث تحوى أجزاءها، ولكنها لا تحل محل أي من أجزائها
- (7) إن ما يسمى العقل المنطقي والسلوك الظاهر هو عادة المُتَّاح من الفطرة للتعامل مع الواقع الظاهر المائل (هذا عند معظم الناس وفي أغلب الأحوال).

(8) يظل الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلا للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية، ورحابة مساحة حركته الحرة .

(9) نحن -غالبا- كما ننكر الحلم، (ندعى أنه لم يحدث، أننا لا نحلم) أو نتنكر له (ننساه) ، أو نشوّه بالخي المختزل، أو نُحلّ حله حلم مزيف (دون أن ندرى)، أو نفسره برموز ثابتة عمياء، نحن نعمل مثل ذلك في فطرتنا أثناء اليقظة بشكل أو بآخر.

(10) ثمّ انفصال مشروع وضروري، وذلك حين ينفصل جزء من الفطرة عن شمولية تواجدها- ينفصل بتواتر منظم أو عشوائي- وهو أمر لازم لتواصل حركية النمو، هذا الجزء إنما ينفصل ليتصل - مع حركية الفطرة في اتجاهها باعتبارها حركة وليست كيانا له ما يميزه بذاته- ليتبادل مع سائر الأجزاء، ثم يتضفّر، ثم يتجادل، (دون ثبات أو تكرار حرفي)، فهو النمو الممتد،

كما قلنا: هذا انفصال مشروع وضروري، فهو الانشقاق للنمو

(11) يحدث التبادل بين حالات الوعي لكل من النوم واليقظة، وأيضا النوم الحالم والنوم غير الحالم.. (أنظر الإيقاع الحيوي في كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع") مثبت بالموقع.

وهكذا يتواصل الانشقاق العرّضى بالتبادل الدوري عادة، مثلما

(12) من ناحية أخرى تتواصل عمليات الانشقاق الطولي المتوازي، فالمتضفّر، فالنامي في تشكيلات مختلفة مثل ما يلي:

• تعدد مستويات برجة (اعتمال) المعلومات في نفس الوقت (هذا ما سوف نشير إليه في حالة/أحوال عصام .

• تعدد مستويات التواصل بين الناس في نفس الوقت (التحليل التفاعلاتي transactional analysis

• تعدد مجالات الانتباه في نفس الوقت .. إلخ

(13) إذا انفصل الجزء ليحل محل الكل، أو ثبت هذا الجزء في حله منفصلا،

أو اكتفى بحركية مغلقة من "الانفصال فالعودة كما كنت" تماما، فهو الانشقاق للاغتراب: للتوقف، (مثل حالات الهستيريا التحولية أو الانشاقية مثل كاسي أثناء النوم، ونسيان أحداث بذاتها لدرجة فجوات الذاكرة ذات الدلالة... إلخ)

(14) إذا تمادى الانفصال للاغتراب: يحدث التفكك، فالتفسخ، فالتناثر فهو الفصام في صورته المتأخرة النشطة معا

(15) حين ينشط "الانشقاق للنمو" معا بجرعة مكثفة إيجابية فعّالة، قد يتجلى ناجح في القدرة على إعادة تشكيل الوعي بجدل خلاق، وعادة ما يظهر في شكل إبداع ما (يختلف باختلاف الأداة والمجال ووسائل التعبير والتوصيل) .

(16) إذا ما ترسخ انشقاق الجزء عن الكل، حتى أصبح هو الظاهر الثابت، المعيق لأي نمو لاحق، نجد أنفسنا أمام ما يسمى "العادية" التي تتماهى عادة إلى "فرط العادية" hyper-normality التي تتصف بالمبالغة في تثبيت السلوك النمطي الدفاعي (الميكانيزماتي) المغترب السائد، لدرجة الاكتفاء (حتى الاستبعاد) بالمنطق الظاهر الخطي السببي الختمي المعقلن، محل كل ما عداه (محل الجسد والوجدان والحدس والوعى وأنواع المنطق الأخرى)، وعادة ما يغطي هذا الجزء الظاهر المبرمج بكفاءة مناسبة سائر مكونات الفطرة الأخرى،

وهذا هو ما أسميناه في حالة عصام "القشرة"

(17) أغلب تنويعات الإبداع الحقيقي، وكذلك ما نلاحظه من تلقائية البسطاء (إيمان العجائز) وطهارة الأطفال وهم يتحدثون عن الله عز وجل ..، كل ذلك هو بعض ما يعايشه الناس العاديون دون تسميته بالفطرة، ولكنهم يستعملون عادة لغة دينية تلقائية بسيطة، مع ذكر الله سبحانه غالباً.

(18) على النقيض من ذلك، فإن منظومات السلطات الدينية والأخلاقية الفوقية والاستهلاكية الاستغلالية هي أقرب إلى القشرة التي تضخمت حتى أعاقت عبر العصور، والتي تصبح بانفصالها أبعد ما تكون عن الفطرة.

(19) القشرة قادرة على "اعتماد المعلومات" Information processing لتحقيق الشطارة والنجاح والامتلاك والتفوق وكثير من أشكال حفظ المعلومات واستعمالها، وأيضاً بعض تشكيلات العلم الكمى الجيد والمفيد، أو المزيف والضار، وكذلك كثير من إجازات التكنولوجيا (وهذا هام بالنسبة حالة عصام: أنظر بعد)

(20) الفطرة هي أيضاً بكل مستوياتها وتشكيلاتها (عما فيها القشرة غير المنفصلة) قادرة على "اعتماد المعلومات" Information processing (وهذا من أهم ما يميزها عما أسماه فرويد "الهو" الذى هو من أهم مكونات اللاشعور) ولكن ذلك يتم بطريقة أشمل، وإن كانت أقل تحديداً وأبعد عن الاختيار المباشر، وإن كنا نتعامل مع أغلب نتائجها تعاملًا عملياً جيداً

وبعد؟

ما علاقة كل ذلك بأحوال "حالة" عصام؟ (حالة فصام؟؟)

تعالوا نقرأ بقية الفرض - بأقل قدر من التعديل- وهو الفرض الذى عرضناه في الحلقة الأولى، حين تورطنا في استعمال كلمتي "الفطرة" و "القشرة" فلزم هذا الاستطراد!!

- القشرة (عند عصام) تنجح وتتم صفقاتها مع الوالد
- والفطرة "تعرف" وتدرك، وتتعامل مع المعلومات باستيعاب سليم
- تتصامد الفطرة مع القشرة في مرحلة باكرة (الابتدائية)

· يظهر الصداع في المرحلة الابتدائية، ثم يختفى ربما بالبعد بينهما (بين القشرة والفطرة) مع استمرار نشاط كل منهما.

· تستمر القشرة في النجاح الظاهر، والصفقات الداعمة الخبيثة (بين الابن والأب: التمييز والتجسس) كما تستمر الفطرة في النشاط والتماسك والمعرفة السليمة والادراك الداخلى.

· تنجح الفطرة حتى في برمجة المعلومات والإسهام في أداء الامتحانات، فيفسرها الابن حامداً فضل الله، لكن يبدو أن الداخل تجاور هذا المستوى سراً، وفي نفس الوقت أجل إعلانه.

· حادث دال خطر يحدث بالصدفة يهز هذه التركيبة برمته، فتختل صورة الأب ليظهر على حقيقته بلا رجعه، فتفسد الصفقة،

فيحدث التباعد بين الابن والأب (الزعل: سنة) دون ظهور الأعراض بعد،

· يجتنب الابن أباه، لكن الكسرة قد حدثت في الداخل، فطالت الفطرة التي انفصلت، وارتدت، وانطلقت لحسابها البدائي محترقة القشرة منفصلة عنها لتصبح بدائية عشوائية متفسخة..

· الفطرة وحدها لا يمكن أن تواصل إنجازاً واقعياً ظاهراً إلا إذا تكاملت مع أجهزة الأداء السلوكي.

· المرض يعلن أن القوة الفطرية التي أصبحت بدائية قد انطلقت بين شقوق الكسرة التي جفت فكسرت فور الحادث (الصفح) وإن لم ينطلق فور الكسر.

· تتعملق قوة الدفع من الداخل ولا تتوقف عند حد استعادة تلقائية الفطرة وأحقيتها، بل تتفاقم حتى تنقلب الفطرة إلى تسليم بدائي قدرى أعمى،  
تفتقد الذات أبعادها تماماً،

· يتضاعف التماذى في الانفصال وتجلي سلبية مطلقة لقوى لم تعد هي القوى الضامة المساعدة، ولكنها أصبحت قوى شكلية هابطة من المجهول وإن ظلت في نفس الوقت تتعامل بنفس الألفاظ، اللغة الدينية التي تسطحت فلم يبق منها إلا نداءاتها.

· تشوهت الفطرة على أنقاض القشرة وظهر الفصام.

( حتى لو كانت المسألة قد صارت أصعب فأصعب فلا سبيل إلا المحاولة والمثابرة،

نلتقى غدا لنواصل تطبيق الفرض على أحوال عصام من خلال هذا الاستطراد التنظيري)

(هل عرفتم لماذا فضلنا إلغاء الجدول إياه بتخصيص كل يوم لموضوع بذاته؟

حتى نأخذ راحتنا هكذا ونكمل ما لا بد أن يكتمل)